

# مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

## Orthodox Archdiocese of Beirut

### الرسالة

(تيطس ٢: ١١-١٤؛ ٣:

٤-٧)

يا ولدي تيطس لقد ظهرت نعمة الله المخلصنة لجميع الناس\* وهي تؤدبنا لننكر النفاق والشهوات العالمية فنحيا في الدهر الحاضر على مقتضى التعقل والعدل والقوى\* منتظرين الرجاء السعيد وظهور مجد إلهنا العظيم ومخلصنا يسوع المسيح\* الذي بذل نفسه لأجلنا ليفتدينا من كل إثم ويظهر لنفسه شعباً خاصاً غيوراً على الأعمال الصالحة\* فلما ظهر لطف الله مخلصنا ومحبتة للناس\* خلصنا هو لا لأعمال في البر عملناها نحن بل على مقتضى رحمته بغسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس\* الذي أفاضه علينا بسخاء بيسوع المسيح مخلصنا\* حتى إذا تبررنا بنعمته بصيرورته على حسب رجاء الحياة الأبدية.

### المعمودية سر الولادة

#### في المسيح

سر المعمودية هو الباب الذي يجعل المؤمنين أعضاء في جسد المسيح. بولس الرسول في رسائله يعبر عن تفسير الكنيسة الأولى لهذا السر بأنه ولادة جديدة في موت المسيح وقيامته. وبالتالي كل الإنسانية اتخذت بعد موت المسيح وقيامته إمكانية الإنعاش في «جسد الحياة»، جاعلة «جسد الخطيئة» يشفى ويستنير. سر المعمودية إذاً هو

العدد ١/٢٠١٣

الأحد ٦ كانون الثاني

عيد الظهور الإلهي

٤). يعلم القديس يوحنا الدمشقي: «نعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا وللحياة الأبدية، لأن المعمودية تعلن موت السيد وقيامته». وبحسب تعبير القديس كيرلس الإسكندري «الطبيعة البشرية التي مرضت تشفى بانغراسها في جسد المسيح».

الإنسان من حيث هو مولود مجدداً يسلك في مسيرة تقدم ونمو. فكما أن الجنين ينمو ويتقدم هكذا يحصل في

الولادة الإلهية التي هي تقدم في الحياة الإلهية ونمو في النعمة. فإن الإنسان، من حيث هو عضو حي في الجسد، كونه معتمداً ومندرجاً في

الجسد، هو مدعو إلى تحقيق مواهب الحياة في المسيح.

ضمن هذا الإطار للتقليد الأرثوذكسي يحل القديس نيقولاوس كاباسيلاس في كتابه «الحياة في المسيح» معنى المعمودية وسائر أسرار الكنيسة. الأسرار بالنسبة إليه هي «الحياة في المسيح». المعمودية هي الولادة في هذه الحياة. والمرء يولد أولاً ثم يعبر في سائر مراحل النمو.

ويشير القديس إلى أن المعمودية، من حيث هي موهبة خاصة لا تأثير في إتمامها لمشيئة الإنسان إذ إن

ولادة في الحياة وتوجه صوبها، وهو بالتالي بدء مسيرة إلى حياة جديدة. ومن دون المعمودية لا ضمان أن عضواً جديداً قد ولد متجدداً ومُحرراً من الفساد والقوى الشيطانية. خدمة السر واضحة بهذا الخصوص.

والكنيسة، من خلال المعمودية، تتمسك بموت المسيح وقيامته. يقول الرسول الإلهي بولس: «...اعتمدنا لموته... فدُفنا معه بالمعمودية للموت حتى كما أُقيم المسيح من الأموات بمجد الأب هكذا نسلك نحن أيضاً في جده الحياة» (رو ٦: ٣-٤)

## الإنجيل

(متى ٣: ١٣-١٧)

في ذلك الزمان أقبل يسوع من الجليل إلى الأردن إلى يوحنا ليعتمد منه\* فكان يوحنا يمانعه قائلاً أنا محتاج أن أعتمد منك وأنت تأتي إلي\* فأجابه يسوع قائلاً: دَعِ الآنَ فهكذا ينبغي لنا أن نُنْتِمَّ كُلُّ بَرٍّ حينئذٍ تركه\* فلمَّا اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء وإذا السموات قد انفتحت له فرأى روح الله نازلاً مثل حمامة وحالاً عليه\* وإذا صوت من السماء قائلاً هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت.

## تأمل

لقد ترك الله لنا بالرغم من كل عطايه الغزيرة من أجل خلاصنا شيئاً نسهم به في خلاصنا الشخصي. نعم ان المساهمة إذا قيسست بغنى العطايا تعد ضئيلة جداً ولكن لهذه المساهمة وزن في إرادة الله. يكفي أن نعتقد بخلاصنا بواسطة المعمودية وأن نوافق باختيارنا أن نتقدم إليها حتى تعطى لنا كل الاستحقاقات وهكذا يصبح الواهب مديناً بالخيرات التي فعلها من أجلنا. إن إيماننا بأننا إذا متنا بعد المعمودية فوراً فإننا لن

علاقة بسلطان الإنسان. من دون أعمال مشيئته لا يستطيع الإنسان تفعيل أي من أعمال الكمال. المعمودية إذا جهاز يمنحه الله للإنسان، لكن تفعيل هذا الجهاز يتوقف على مشيئة الإنسان. لذا فإن الإشتراك في الملكوت الإلهي، في معاينة الله، في التنقية والوجود المستديم مع المسيح هي أمور من اختصاص المشيئة البشرية.

لسر المعمودية مثل سائر الأسرار رموز مرئية هي الماء وترتيب الخدمة. لكل هذه الرموز ما يقابلها من حقائق روحية وخلصية. كل نمط أو رمز له ما يقابله من مضمون أو حقيقة روحية، لذلك يقول القديس يوحنا الدمشقي: «الماء في المعمودية ينقي الجسد، والروح يجدد كل الوجود، يحصل هذا عبر العناصر المادية لأن كل عناصر الخليقة خلقت من أجل التقديس».

الأسرار إجمالاً، ومنها المعمودية، لا تنحصر بالشخص المعتمد فقط بل تطال كل أعضاء جسد المسيح. الأسرار تفهم على امتداد حياة جسد المسيح. وظيفة المعمودية أن تطعم هذا العضو الجديد في هذا الجسد، وهذا معنى أن يولد هذا العضو في هذا الجسد.

سر المعمودية كالأسرار بجملتها، من حيث هي اندراج في جسد الحياة، تظهر في التاريخ تدريجياً، وهي تصل في حياة الكلمة المتجسد، المسيح الإله الإنسان، إلى تتويج هذا التدرج. يبقى نمو الإنسان إلى الكمال من بعد مجيء المسيح حالة ديناميكية تدعونا إليها الكنيسة وتزودنا، عبر سائر الأسرار، بكل ما نحتاجه من أجل تحقيقها.

العرب عندما يتمّ تعميد الولد هو الذي يجيب عن المعتمد. أما مشيئة الولد فلا دور لها. الكنيسة تلد الإنسان بمنأى عن إرادته، تماماً كما أن الولادة بالجسد هي مستقلة عن إرادة الإنسان. لأن المعمودية هي فعل خلق. وكما أن الخلق من عدم ينحصر بالقوة الإرادية لله، كذلك المعمودية، أي «إعادة الجبلة»، تمنح هذا الإنسان وجوداً من نوع آخر، وجوداً إلهياً. بها يتخذ الإنسان الوجود في ملكوت السموات في مسيرة نحو الكمال دون اشتراك مشيئته. وعلى هذا المنطلق اللاهوتي نبنى ما نسميه معمودية الأطفال، لأنه دون أن يأخذ الإنسان نعمة المعمودية يستحيل عليه أن يأخذ قوة الإرادة ليتابع مسيرة الكمال. فإن النعمة الإلهية في الأسرار تصلح كينونة الجبلة العاقلة بطريقة شفائية وخلقاً.

المعمودية هي استعادة للطبيعة البشرية وإصلاح لها، مثل قيامة المسيح تماماً، هي إشتراك في قوة قيامته، هي عربون وبداية وتدوّن مسبقاً للقيامة العامة حيث سيقوم الكل من دون إرادتهم. ومثلما خلق الله البشر كلهم دون إرادتهم، هكذا سيقيمهم من دون إرادتهم.

مصدر قوة الأسرار ليس مشيئة الإنسان بل المشيئة الإلهية. أما بلوغ كمال الحياة المسيحية في القداسة فهو ثمرة من ثمار النعمة، لكنه يتحقق فقط بفعل المشيئة البشرية والتأزر بينها وبين نعمة الروح القدس، وبهذا يحصل شفاء المشيئة البشرية. إذا المعمودية هي الولادة، هي عمل الخلق. لكن ما يختص بالمشيئة البشرية، أي انتقاء الخير وإثماره، إنما هو على

نحمل غير طابع المعمودية لأكثر من حقيقة وسيخصنا الله بالإكليل كأننا قمنا بالجهد من أجل الملكوت السماوي.

بما ان المعمودية تهب الحياة للمستنيرين فلنبحث طبيعة هذه الحياة. يمكن أن نجزم مسبقاً ان هذه الحياة ليست مماثلة للحياة الأولى ومطابقة لطبيعتنا بل أسمى لأنه ماذا ينفع الموت إذا كان لا ينتهي إلا بالحياة الأولى، أو إذا كانت الحياة الجديدة لا تحملنا إلى أعمال جديدة؟ ان هذا لا يعني غير الموت. ان هذه الحياة ليست بحياة ملائكية لأنه لا جامع يجمعنا بالملائكة. ان الإنسان هو الذي سقط وإذا أصبح الإنسان ملاكاً لا يعني هذا انه قام. ان هذه الحالة تشبه تمثالاً محطماً لا يعيده الفنان إلى شكله البرونزي الأول بل يعطيه شكلاً آخر وهذا يعني انك لا تعيد شكل التمثال بل تخلق شيئاً آخر. من الضروري أن تكون هذه الحياة بشرية وفي الوقت نفسه جديدة وأسمى من الأولى وكل هذه الصفات تلتقي في الحياة التي جاء بها يسوع المسيح.

لا شيء يربط هذه الحياة الجديدة بالإنسان العتيق. إنها اسمى بكثير مما يتصوره العقل

## تقديس الماء في عيد

### الظهور الإلهي

ترمز المياه للحياة وللعيش، هكذا أرادها الله عند الخلق إذ لا حياة بدون ماء. لكن هذه المياه، بعد سقوط الإنسان صارت أيضاً رمزاً للدمار والموت كما في أيام نوح (تك ٧: ١٧-٢٤). ترمز أيضاً للنظافة والتنقية، يغتسل بها الإنسان لينظف جسده. وفي المعمودية تستعمل لغسل الإنسان من الخطيئة ولتنقيته.

في عيد الظهور الإلهي تقوم الكنيسة بخدمة تقديس الماء بعد القداس، حيث تنشأ تراتيل خاصة بالعيد يرافقها تبخير الماء، ويتخللها قراءات من الكتاب المقدس، وطلبات وصلوات. يوضع وعاء كبير للماء في وسط الكنيسة مزينا بالشموع والأزهار التي ترمز إلى العالم المخلوق الجميل وإلى خليقة الله التي خلقها منذ خلق العالم.

فيما نرتل «صوت الرب على المياه» وما يليها، يخرج الكاهن وفي يده الصليب الكريم. بعدها تتلى القراءات الثلاث والرسالة والإنجيل، ثم يتلو الشماس الطلبة السلامية الخاصة بتقديس الماء، بعدئذ يتلو الكاهن إفسحين التقديس بصوت جهوري. بعد الإفسحين يغتسل الكاهن الصليب الكريم في الماء ثلاث مرات أثناء ترتيل طروبارية العيد «باعتمادك يا رب في نهر الأردن» ومن ثم يرش الهيكل والشعب على شكل صليب ثم يتقدم الشعب للتبرك من الماء المقدس وأخذه إلى المنازل.

يذكر أحد اللاهوتيين أن خدمة تقديس الماء بذاتها تكشف معنى الفعل عند المسيحيين. فالقراءات الكتابية وخصوصاً الكلمات

المسيحانية في قراءة النبي إشعيا مع الصلوات والطلبات والتراتيل تكشف معنى الإحتفال الكبير بظهور المسيح وإعلان الله ان يسوع هو ابنه الحبيب. فقد أرسل الله ابنه يسوع المسيح ليخلص الخليقة جمعاء. في هذا العيد وعبر الماء، تظهر الخليقة بكاملها مقدسة بكلمة الله عبر الروح القدس.

في صلاة تقديس المياه يصلي الكاهن لكي تعود المياه إلى ما كان يقصد منها الله عند الخلق، أي أن تكون مصدراً للحياة. يطلب الكاهن من الله أن يجعل هذا الماء ينبوعاً لعدم الفساد وموهبةً للتقديس وفداءً للخطيئة وإكسيراً (دواء) للأمراض وطارداً للشياطين. وأن يظهر هذا الماء حميماً لإعادة الولادة، نعمةً للتبني، ينبوعاً للحياة. «عظيم أنت يا رب وعجيبة أفعالك وليس من قول يفي بتسبيح عجائبك، لأنك أنت بمشيئتك أبرزت جميع الأشياء من العدم إلى الوجود. وبعزتك تضبط الخليقة. وبعنايتك تسوس العالم... لك تسبح الشمس، لك يمجد القمر، لك تخضع النجوم، لك يطيع النور، لك تتعبد الينابيع... فلك نعترف بالنعمة. ونكرز بالرحمة ولا نخفي الإحسان. أولاد طبيعتنا أنت حررتهم. الحشا البتولي بمولدك قدسته. فكل الخليقة قد سبحتك في ظهورك لأنك أنت إلهنا على الأرض ظهرت وبين الناس ترددت. مجاري الأردن أنت قدستها... إذا أيها الملك المحب البشر إحضر الآن بطول روحك القدوس وقدس هذا الماء وامنحه نعمة الفداء وبركة الأردن. إجعله ينبوعاً لعدم الفساد، وموهبةً للتقديس، وفداءً للخطايا، وإكسيراً للأمراض ومبيداً للشياطين... حتى أن جميع الذين يستقون ويتناولون منه يكون لهم لتنقية النفوس والأجساد، لشفاء

والإدراك. إنها مطابقة لطبيعتنا لأنها كانت حياة إنسان عاشها، والإنسان هذا كان إنساناً حقيقياً كما كان في الوقت نفسه إلهاً حقيقياً خلواً من كل خطيئة حتى في طبيعته البشرية. لأجل ذلك يجب ان تشرق فينا الحياة بالمسيح المعطاة لنا بالمعمودية المقدسة التي جعلنا أنقياء بمياهها المقدسة، طاهرين من كل دنس الخطيئة. ويتضح ذلك مما يأتي: الولادة بالمعمودية بدء الحياة المستقبلية وتكليف الأعضاء الجديدة والحواس، إنها تهيئة للحياة المستقبلية ولا سبيل للتهيئة إلى الحياة الأخرى إلا باقتبال سر المعمودية للحياة في المسيح «أب الدهر الآتي» (اشعيا ٦: ٩). إنها تنقل إلى البشر حياة الخلود التي قادها آدم إلى الموت. وكما اننا لا نستطيع ان نحيا الحياة الطبيعية إذا كنا غير مزودين بالحواس الأدمية وبالقوى الحيوانية كذلك لا يمكننا أن ندخل أحياء إلى العالم المغبوط بدون أن نكون قد تهيأنا بحياة المسيح وتطابقنا معه في الصورة والمثال.

القديس نقولا كاباسيلاس

الآلام، لتقدّيس المنازل، ولكلّ منفعة ملائمة...».

نقرأ في العهد القديم قصة شفاء نعمان السرياني الذي كان مصاباً بمرض البرص وكيف طلب منه أليشع أن يمضي ويغتسل في الأردن سبعة مرّات ليشفى (٢ مل ٥: ١٣-١٥). لقد أدرك نعمان أن مياه الأردن ليست سحرية بل إن شفاؤه كان بواسطة الأفعال الإلهية غير المخلوقة التي ميّزت بحضورها مياه الأردن عن نهري دمشق «هوذا قد عرفت أنه ليس إله في كل الأرض إلا في إسرائيل» (٢ مل ٥: ١٥). وفي العهد الجديد نقرأ أيضاً قصة المخلع (يو ٥: ١-٩) على بركة بيت حسدا «لأن ملاكاً كان ينزل أحياناً في البركة ويحرك الماء. فمن نزل أولاً بعد تحريك الماء كان يبرأ من أي مرض اعتراه» (يو ٥: ٤). هنا أيضاً نلاحظ ان القوة الشفائية نفسها التي حلت على مياه الأردن وشفّت نعمان الأبرص تشفي المخلع وستشفى كل مريض يتناول منها عن استحقاق.

لا يختلف الماء المقدس في الكنيسة عن سواه بطعمه أو صفاته الكيميائية إنما فعل التقديس يجعل منه «شرباً روحياً» كما قال بولس الرسول في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس: «وجميعهم أكلوا طعاماً واحداً روحياً وجميعهم شربوا شرباً واحداً روحياً. لأنهم كانوا يشربون من صخرة روحية تابعتهم والصخرة كانت المسيح» (١ كو ١٠: ٣-٤).

لهذا يتلو الكاهن أثناء خدمة تقديس المياه «أمل يا رب أذنك واستجب لنا، يا مَنْ قدّست المياه لما قبلت أن تصطبغ في الأردن وباركنا جميعاً نحن الذين بإحناء أعناقنا نقيم دليلاً على عبوديتنا، وأهلنا أن نمتلئ من تقديسك

بتناولنا هذا الماء ورشه علينا، وليكن لنا يا رب لصحة النفس والجسد، لأنك أنت تقديس نفوسنا وأجسادنا ولك نرسل المجد والشكر والسجود مع أبيك الذي لا بدء له وروح الكلي قدسه الصالح والصانع الحياة، الآن وكل أوان وإلى دهر الدهرين، آمين».

## في المعمودية

لنجتهد أيضاً في السهر كل يوم على ثوبنا المستنير (ثوب المعمودية الأبيض) لنلنا يتسّخ أو يتلطح. ولنبدّ حذراً شديداً حتى في الأمور التي تبدو لنا صغيرة، وذلك لكي نقوى على تجنّب الأمور الخطيرة التي هي الخطايا. فإذا رُحنا نحتقر بعض الأمور على أنها تافهة، نبلغ شيئاً فشيئاً، ونحن ننتهج هذا السبيل، إلى السقطات الخطيرة. لذا، أطلب منكم أن تبقى ذكرى التزاماتكم حاضرة في ذهنكم وأن تتجنّبوا، من دون رجعة، عدوى الشرور التي تخلّيتم عنها، أعني بها المباحج الشيطانية وكل مكاييد الشيطان الأخرى. حافظوا على التزاماتكم أمام المسيح حتى تنعموا بالمائدة الروحية وتكونوا، وقد تقويتم بهذا الغذاء الروحي، بمنأى عن فخاخ إبليس.

ألا استمطروا عليكم، بكمال مسلككم، نعمة الروح، لتحرزوا مناعة في ذواتكم وتسهموا، بفضل تقدّمكم، في فرح الكنيسة وابتهاجها، بحيث يتمجد سيدنا ونصبح نحن أهلاً لملكوت السموات. القديس يوحنا الذهبي الفم

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعياً على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb